



الشعرية في الدراسات النقدية المغاربية بين الوافد الغربي
والتراث العربي- عبد الملك مرتاض أنموذجا

Poetics in Maghrebian Critical Studies between
Western Influence and Arab Heritage: Abdelmalek
Mourtad as a Model

زلازلي نصيرة

جامعة لونيسي علي البلدية 2 (الجزائر)، en.zelazli@univ-blida2.dz

ملخص:

تسعى هذه الورقة البحثية إلى معالجة قضية: المصطلح النقدي بين التأثيرات الغربية والتراث العربي، ولما كان النقد العربي-في كثير من الأحيان- يستقي مادته من الثقافات الغربية، فقد برزت عدّة إشكالات متعلقة بطرق استقبال الوافد، حاول فيها ثلة من النقاد المغاربة -من بينهم عبد الملك مرتاض- التوفيق بين ما هو أصيل وما هو مُستقى من الثقافات الغربية وذلك بالرجوع إلى التراث العربي، وتعد "الشعرية" من المصطلحات الأكثر رواجاً في هذا الصدد يحاول عبد الملك مرتاض التأصيل لمصطلح الشعرية محاولةً تنم عن سعة اطلاعه على الثقافة الأجنبية، دون إهمال للتراث الذي في رأيه مازال يحمل الكثير من المصطلحات والنظريات والمفاهيم المتجددة، فما هي الطرق التي اعتمدها مرتاض في بحثه في مجال الشعرية؟ وكيف استطاع التوفيق بين ما هو غربي وما هو عربي أصيل؟

كلمات مفتاحية: الشعرية؛ عبد الملك مرتاض؛ المصطلح؛ الوافد الغربي؛

التراث العربي؛

Summary:

This research paper aims to address the issue of critical terminology between Western influences and Arab heritage. Since Arab criticism often draws its material from Western cultures, several problems have emerged related to the ways of receiving these influences. A group of Moroccan

المؤلف المرسل: زلازلي نصيرة الإيميل: en.zelazli@univ-blida2.dz

critics, including Abdelmalek Mourtad, has sought to reconcile what is original with what is derived from Western cultures by referencing Arab heritage. The term "poetics" is one of the most prominent terms in this context, and Abdelmalek Mourtad attempts to root the concept of poetics, reflecting his extensive knowledge of foreign culture, while not neglecting the heritage that, in his opinion, still holds many terms, theories, and evolving concepts. What methods has Mourtad employed in his research in the field of poetics? How has he managed to reconcile Western and authentic Arab influences?

Keywords: Poetics; Abdelmalek Mourtad; terminology; Western influence; Arab heritage

1. مقدمة :

عرفت الدراسات النقدية العربية احتكاكا واسعا بالثقافة الغربية، لاسيما فيما تعلق بالنظريات والمناهج التي انكب عليها النقاد العرب ترجمة وتنظيرا وتطبيقا، ما أدى إلى بروز عدة إشكالات من بينها إشكالية المصطلح، بخاصة عندما يهاجر المصطلح من بيئة إلى أخرى مختلفة عنه لغويا وحضاريا... الأمر الذي ولد ثلاثة اتجاهات متباينة في استقبال المصطلح الغربي: اتجاه رَحَبَ بالمصطلح الغربي باعتباره الأول في الظهور، واتجاه اعتبره تكرارا لما هو موجود في التراث العربي، واتجاه ثالث جمع بين المصطلحين العربي القديم والغربي الجديد محاولا التوفيق بينهما.

وقد شغل مصطلح الشعرية حيزا كبيرا في الدراسات العربية، ومن الذين اشتغلوا عليه الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض -ذو الثقافة العربية الإسلامية- في كثير من مؤلفاته، محاولا التوفيق بين مستجدات الحداثة والتراث العربي الذي يكتنز من نظريات ومصطلحات ومفاهيم تستحق الدراسة، فقد التمس معالم الشعرية عند ثلة من النقاد أمثال ابن سلام الجمعي والجاحظ وابن قتيبة والقرطاجي وابن رشيق والجرجاني في حديثهم عن الشعر، فوجد مصطلح: البيان، الديباجة وغيرهما، وبدوره استخدم عدة مصطلحات مقابلة للأصل الغربي منها: أدبية الشعر والبوتيك..

تتجلى قيمة البحث في التعريف بالجهود التي أخذها النقد المغاربي على عاتقه في سبيل التوفيق بين الوافد وتراثنا العربي الأصيل، دون تعصب للتراث؛ مثلما فعل مرتاض وغيره الكثير من النقاد العرب، الجهد الذي يمكن أن يشكل مشروعا نقديا يؤسس لنظريات عربية أصيلة.

انطلاقاً من هذا التصور البحثي، نحاول الإجابة عن السؤال الآتي: ما هي الاستراتيجيات التي اتبعتها عبد الملك مرتاض في سبيل التأصيل لمصطلح الشعرية؟ وبناءً على التساؤل المعرفي -المبني على قراءة المنجز النقدي لمرتاض في حديثه عن الشعرية- اقتضت الدراسة التطرق إلى المفاهيم المتعلقة بالشعرية والمصطلحات المقاربة لها عند النقاد العرب القدماء، ثم المفاهيم الغربية للمصطلح وتعددتها، ومن ثم الحديث عن محاولة الناقد تصنيف المصطلحات والمفاهيم ووضعها في إطارها الصحيح.

2. المرجعيات الفكرية لدى عبد الملك مرتاض:

إن المتأمل للتجربة النقدية عند الناقد الجزائري عبد الملك مرتاض يجده منفثاً على الثقافات الغربية لاسيما الفرنسية منها، ومن الضروري الإشارة إلى أن الناقد قد اطلع على الكتابات الغربية في بلدانها المختلفة، باللغة الفرنسية فكان يستقي مادته من الكتب المترجمة لهذه اللغة وذلك من خلال "متابعة بعض الكتابات المدبجة باللغة الفرنسية (...) ولذلك نستطيع أن نقرأ باللغة الفرنسية وحدها، مثلاً، كل الكتابات الأوروبية الكبيرة"¹، نحاول في هذا المقال الإشارة إلى النقاد الغربيين الذين استقى منه مرتاض مادته النقدية في مجال حديثه عن الشعرية مثل رومان جاكبسون Roman Jakobson صاحب مصطلح الأدبية littérarité، وجون كوهن j.cohen، وتيري إكليتون Terry Eagleton، وميكائيل ريفاتير Michael Riffaterre، وتودوروف Todorov وبول فاليري Paul Valéry وغيرهم من النقاد الفرنسيين وغير الفرنسيين، وهذه إشارة أو مدخل نحاول التنويه به إلى أن الثقافة لدى الناقد تتعدى المحلية العربية إلى الثقافات المختلفة في مجالات متعددة "وبذلك كان مرتاض ناقداً غربي المنهج عربي الطريقة حدائي المادة، تراثي الروح"².

الأمر الذي جعل جمعاً من الدارسين يصفونه بالناقد الموسوعي الذي يخوض في شتى المجالات، وفي ثقافات مختلفة حيث لم يقتصر اهتمامه على قضايا معينة بذاتها، فهو الذي تناول قضايا أدبية ونقدية وإسلامية وثقافية وتاريخية بمناهج مختلفة.

1.2 معالم الشعرية عند النقاد العرب القدماء:

اعتمد عبد الملك مرتاض في بحثه المتعلق بموضوع الشعرية العودة إلى التراث العربي لمعانيته وتحليل مضامينه فوجد بعض الملامح التي تثير بوجود شعرية-الكلمة التي

تحمل عدة معان منها العلم الذي يبحث في نظرية الشعر، وهو المعنى الذي أخذه العرب على عاتقهم، فالشعر هو ديوانهم وديدهم، فوجدها عند بن سلام الجمحي في حديثه عن الكيفية التي يهتدي بها الناقد إلى معرفة المستوى الفني في الكتابة الشعرية، والذي رأى بدوره أن الشعر صناعة لا تختلف عن الصناعات الجميلة.

وقد تمسك ابن طباطبا بنبل الفكرة التي يصنعها الشاعر وجودتها، وهو يُقر بذلك بشعرية المعنى، وينتصر للفكرة نفسها ابن جني في كتابه الخصائص الذي يرى بأن المعنى أقوى عند العرب وأفخم قدرا في نفوسهم.

وعن الجاحظ، علّق على بيتين أعجب بهما، والذي عاتبه عنهما أبو عمرو الشيباني لإعجابه بمجرد المعنى فلا يحتاج المعنى -في رأيه- إلى الجهد الذي قد يجعل من الشاعر شاعرا بمجرد القبض عليه (أي المعنى)، وهو صاحب المقولة الشهيرة المعاني مطروحة في الطريق، لكنه ينوه إلى فكره النسج الشعري التي يوليها اهتمامه "فالتفاوت بين الشعراء في صقله هو الذي يحدد مستوى الشعرية في أشعارهم. وقد كان الجاحظ يعيب على العلماء الذين كانوا يتعصبون للمعنى في الشعر، فلم يكن يلتفت إليهم"³، وعليه فالشعرية حسب الجاحظ هي "إقامة الوزن، وتخير اللفظ، وسهولة المخرج (...)" فإنما الشعر صناعة، وضرب من النسج، وجنس من التصوير"⁴، ويمكن من مفهوم الجاحظ للشعر أن نستشف بأن قول الشعر ليس بالأمر الهين كما قد يرى بعضهم وهو ليس متأني عن طريق الموهبة فقط، بل له شروطه وأدوات قرضه، ويشير الناقد على نقيض غيره من النقاد الذين سبقوه إلى عنصر التصوير الذي وجدّه كشرط من شروط جودة الشعر.

وقد أشار ابن قتيبة إلى أن جودة الشعر لا تتوقف عند كونه قديما فقط، القضية التي تعصب لها رواة الشعر، وقد قسم بدوره الشعر إلى أربعة أقسام؛ العمل النقدي الذي جعل أمجد الطرابلسي يعد ابن قتيبة أول من تناول النقد الشكلي في التاريخ، بيد أن مخالفة ابن جني وعبد القاهر الجرجاني للفكرة جعلها غير مُسلم بها، ومن ذلك كان ابن قتيبة أول من قسم الشعر انطلاقا من الجمع بين اللفظ والمعنى، والجودة والرداءة.

ورأى عبد الملك مرتاض أن الجرجاني ردد فكرة القديم والجديد في الكثير من آرائه النقدية والتي تداولها الكثير حتى في العصور المتأخرة، ورأى بأنه لم يوفق في تناوله مفهومة الشعر.

الشعرية في الدراسات النقدية المغاربية بين الواقع الغربي والقراء العربي - محمد الملك مرتاض
أموذجاً - العدد الرابع عشر / العدد الأول / مارس 2025

أما عن قدامة بن جعفر فقد رأى مرتاض أنه "أول من عرف الشعر تعريفاً مدرسياً قائماً على تمثيل المفاهيم تمثيلاً منطقياً، وتحديدًا بشيء من الدقة"⁵ وهو صاحب القول إنَّ الشعر كلام موزون مقفى يدل على معنى، وهو بدوره يعد الشعر صناعة. ويتكئ ابن رشيق القيرواني على قدامة بن جعفر في تمثيله للشعريات وأشار مرتاض إلى شرط النية الذي خصه ابن رشيق في حديثه عن الشعر، بالقول إنَّ النية ليست بالضرورة هي ما يحدد الشعرية.

وتوقف الخلاف بين أنصار المعنى وأنصار اللفظ مع ظهور فكر علي بن عبد العزيز الجرجاني صاحب كتاب الوساطة بين المتنبي وخصومه، مع أن مرتاض لم يسهب في الحديث عن هذا الناقد في كتابه قضايا الشعريات كونه في رأيه "لم يضيف إلى مفهوم الشعر شيئاً ذا بال"⁶ غير حديثه عن قضية القديم والجديد، واكتفى بتقرير ما كان شائعاً من تعاريف للشعر. أما عبد القاهر الجرجاني صاحب نظرية النظم فقد كان له شأن في هذا المجال، إذ من النقد من يقرب مصطلح النظم عنده إلى مصطلح الشعرية واعتبرها النقد المعاصرون أنها الصياغة النهائية للشعرية العربية القديمة.

وذكر حازم القرطاجني بأن الشعر تحكمه معايير كالوزن والقافية مما يترك أثراً في النفس من تحبيب أو تكريه، من خلال صدق الكلام وحسن تأليفه.

من خلال ما سبق ذكره عن معالم الشعريات عند النقداء القدماء فإننا نلمس ارتباط الشعرية عندهم بالضرورة بالجنس الأدبي الشعر عدا بعض الملامح من مثل حديث القرطاجني عن الخطابة، وأن جمالية الشعرية العربية كانت في اللفظ أو في المعنى لتتحول بعد ذلك للجمع بينهما.

2.2 الشعرية في الساحة الغربية:

تطرق عبد الملك مرتاض في حديثه عن الشعريات إلى آراء عديد من النقداء الغربيين كما سبق وذكرنا، ونحاول في هذا الجزء أن نسلط الضوء على أكثرهم تأثيراً في الفكر المرتاضي من أجل تكوين مفهومه الخاص للشعريات؛ الحقل المعرفي الغارق في الضبابية المتجدد بالاستمرارية، ونرى البدء بجون كوهن Jean Cohen الذي عدّه عبد الملك مرتاض من أفضل النقداء في تناوله الشعريات في تفاصيلها الدقيقة حيث يرى أن "الرومنسية كانت وراء التحولات الكبرى للشعريات شكلاً ومضموناً"⁷، فأصبح الوجدان والعاطفة ما يتم

الاحتكام لهما، وتم إلغاء العقل الذي مجده المذهب الكلاسيكي، ويرى كوهن أن الشعر يخالف النثر وما يميز هذا الأول عن الأخير هو المستوى الصوتي، وهو بعد ذلك عنده انتهاك النظام العام للنسج اللغوي، وهو ما سمي بالانزياح الذي يجعل اللغة "تتنكر لدلالاتها المعجمية الميتة لتُنشئ خلقاً جديداً للمعاني"⁸، وذكر الناقد -ونقصد كوهن- بدوره حديثاً عن قصيدة النثر التي اعتبرها ناقصة الشعرية بسبب إهمالها للجانب الصوتي، والملاحظ أنه قد وضع بصمته في هذا المجال الذي رغم ما سيشهدده من تطور على مستوى المفاهيم إلا أن من النقاد من يرجع لأرائه باستمرار لتحليلها وتبنيها لاسيما فيما تعلق بالشعر، ويرى مرتاض أن الشعرية لم تعد تكتفي بالاشتغال على الشعر فقط لكنها تعدت ذلك إلى أجناس أدبية أخرى إذ "بمقدار ما كانت الهوة سحيقة بين الشعر والنثر الأدبي في العصور القديمة بمقدار ما غدت ضيقة في العصور المتأخرة"⁹

أما فاليري (1871-1945) Paul Valéry فأطلق صفة الشعرية على أي شيء جميل نتلمسه أو نراه، أما عن الإنجليزي إكليتون Eagleton والشاعر رامبو Rimbaud وإفون بيلافال Belaval وبودلير ونيكولا مالبراناش لم تكن أسئلتهم لتجيب عن سؤال الشعرية غير أنهم أرادوا أن يكونوا مجددين وحداثيين على حد قول رامبو، لكن نقطة التحول كانت مع رومان جاكبسون الذي أثار السؤال الجوهرية ما الشعر؟ لكنه رغم ذلك لم يستطع الإجابة عن السؤال الصعب إلا بفكرة موازنته بنظيره غير الشعري التي ألفاها صعبة بدورها، وقد رأى مرتاض في ذلك أنه يضيف إلى التعقيد تعقيدا وغموضا لأن تعريف الشيء بضده دون تعريفه أولا لا يفضي إلا إلى طريق ضبابية مهمة¹⁰، ويشير جاكبسون في مقولته الشهيرة أن موضوع العلم الأدبي ليس الأدب، ولكن الأدبية؛ وهذه مشكلة أخرى لأنه لم يحدد المعايير التي يتم الاحتكام إليها لتصنيف العمل الأدبي، ورأى مرتاض أن "ما زعمه جاكبسون يجب أن ينصرف إلى الأشكال أكثر مما ينصرف إلى المضامين، فالأشكال الشعرية هي التي كانت العقبة الكأداء في وجوه الشعراء حتى جاء العصر الحديث فحررهم من تلك القيود"¹¹

ويتحدد مفهوم الشعرية عند جاكبسون Jakobson في كونها "تحليل العناصر اللسانية التي تكون العمل الفني حيث يتم التركيز على الخاصية اللفظية، اللغوية تحديداً"¹²، ويشير إلى الوظيفة الشعرية والتي عنده هي "الوظيفة التي تستهدف الرسالة وتركز عليها لذاتها (...)" وليست الوظيفة الشعرية هي الوظيفة الوحيدة لفن اللغة بل هي الوظيفة المهيمنة والمحددة¹³

الشعرية في الدراسات النقدية المغاربية بين الواقع الغربي والقراء العربي - محمد الملك مرتاض
أموخجا - العدد الرابع عشر / العدد الأول / مارس 2025

وفيما يخص اللغة الشعرية، يرى ميكائيل ريفاتير أن "اللغة الشعرية تختلف كل الاختلاف عن الاستعمال اللسانياتي المشترك (...). ذلك بأن الشعر يعبر عن الأفكار والأشياء بكيفية ملتوية. ويصدق ذلك حتى على الوصف الأكثر طبيعية، فإنه ليس مجرد مَلْفِظٍ بسيط للفعل (un simple énoncé de fait): بل إن هذا الوصف يمثل كأنه شيء جمالي للدلالات الإيحائية الوجدانية"¹⁴ يتضح من هذا القول أن ريفاتير يعبر اهتمامه في مجال الشعرية باللغة الشعرية التي تحيل بالضرورة إلى مفهوم الشعر الذي يصطنع منها. وتتحدد الشعرية عند تودوروف من خلال قوله "موضوع الشعرية ليس العمل الأدبي في حد ذاته فما تستنطقه هو خصائص هذا الخطاب النوعي الذي هو الخطاب الأدبي، وكل عمل عندئذ لا يعد إلا تجلياً لبنية محدودة وعامة، وليس العمل إلا إنجازاً من إنجازاتها الممكنة ولذلك فإن هذا العمل يُعنى بتلك الخصائص المجردة التي تضع قراءة الحدث الأدبي أي الأدبية"¹⁵. يبدو من هذا القول أن موضوع الشعرية حسب تودوروف يكمن في الخصائص التي تجعل من العمل الأدبي عملاً أدبياً وليس العمل الأدبي في حد ذاته.

وعليه يمكن القول إن الخطاب النقدي الغربي يبحث في قضايا الشعرية من خلال عدّة زوايا، حيث بدأ الاهتمام بخصائص العمل الأدبي التي يجعل منه عملاً أدبياً بفكرة جاكبسون وطوّرها بعده تودوروف ومن جاء بعده في حين قصر جون كوهن مجال الشعرية في الشعر حيث اعتبرها علم موضوعه الشعر وتطرق إلى قضية الانزياح، لكنه حصر مجال الشعرية في المستويين الصوتي والدلالي، وهو الرأي الذي عرضه إلى جملة من الانتقادات.

3.3. الشعرية عند عبد الملك مرتاض بين التراث العربي والحدثة الغربية

استراتيجيات التأصيل:

لا يخفى على كثير من الناس أن هذا القلم المرتاضي الكبير في شأنه المبدع في آرائه، يحاول في كثير من كتاباته بل منذ بداية تأليفه النقدي، المزاوجة بين تراثنا وما أنتجته الحدثة الغربية، وهو بذلك يراعي خصوصية ثقافتنا العربية والإسلامية الأصيلة في كثير من المواقف "وليس ذلك بعزيم على رجل مبتدأ حياته التعليمية كتاب قرية مسيرة التلمسانية ومنتهاها جامعة السربون الفرنسية"¹⁶، وهذا ربما ما شهدناه في آرائه

وتطبيقاته في المنهج، وهو الشأن أيضا بالنسبة للمصطلح، ربما لأنه من أكثر النقاد "مؤلفة بين التراث والحداثة، ومقاربة بين الرؤى المتباعدة ومعايشة بين الثقافات المختلفة"¹⁷. يخصص عبد الملك مرتاض مؤلفا كاملا في شأن الشعرية بعنوان قضايا الشعرية، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على الزخم الذي شهدته الشعرية من حيث الأفكار المتجددة والإطلاقات المختلفة في حقول تطورها، لاندماج الشعرية في حقول معرفية مختلفة منها السيميائيات والسرديات وغيرهما، حيث يمكن إجمال ما مرت به الشعرية منذ القديم إلى العصر الحديث في شيء من الاختزال الذي قد نتجاوز فيه بعض المحطات التي لا يسعنا الحديث عنها كلها، بيد أننا سنمر بالمحطات الكبرى التي نجدها قادرة على فك اللبس عن طريقة عبد الملك مرتاض في تحليل أفكار سابقيه ولممتها من أجل توليد فكره الخاص الذي وجد فيه ما يبرر اختياره.

أ- ظهرت معالم الشعرية عند عبد الملك مرتاض في مؤلفات كثيرة منها حديثه عن مصطلح الأدبية في قوله "نفهم من الأدبية جوهر الأدب، والجوهر هنا ليس بالمعنى الفلسفي للأشياء، وإنما يعني ببساطة أجمل ما في الأدب، وأصدق ما في عاطفته، وأدفا ما في جوه، وأروع ما في نسجه"¹⁸.

ب- أورد مصطلح الماء الشعري في قوله "هذا الشيء الذي كان القدامى يطلقون عليه الماء الشعري، وقد نطلق عليه نحن المعاصرين أدبية الشعر أو البوتيك أو الإنشائية أو الشعرية poétique"¹⁹. ويبدو من قول الناقد بعض من التردد في الحكم الصارم والمؤكد لمقابلة مصطلح الماء الشعري ذي الأصل العربي بالمصطلح الغربي أدبية الشعر، أو نظيره المعرب البوتيك أو الإنشائية أو الشعرية في استعماله "قد" التي تفيد التقليل وعدم التأكيد، حيث استعمل التعريف أربعة مصطلحات معاصرة هي أدبية الشعر والبوتيك والإنشائية والشعرية مقابلة لمصطلح الماء الشعري والتي يريد مرادفة للمصطلحات السابقة.

ت- ويجعل في قول آخر الشعرية جزءا من الأدبية متجليا في قوله: "فقد يصادفنا كثير من الشعر الذي لا يحمل من الشعرية أي صفة من صفات الأدبية"²⁰. ونجده في مقامات أخرى يشير مُصطلح الشاعرية الذي تولى عنه في كتاباته الأخيرة. حيث أورد له يوسف وغليسي عدة مصطلحات في هذا الصدد.

الشعرية في الدراسات النقدية المغاربية بين الواقع الغربي والقراء العربي - محمد الملك مرتاض
أهموجنا - العدد الرابع عشر / العدد الأول / مارس 2025

أما في كتاباته المتأخرة فقد شاء أن يستخدم مصطلح الشعريات "قياسا على الاستعمال الشائع في اللغة الجامعية العربية المعاصرة، وهو اللسانيات وانضاف في الجامعات الجزائرية إلى هذا الاستعمال، قياسا عليه مصطلح السيميائيات"²¹ وهو بذلك يفرق بينها وبين الاستعمال المغاير لمصطلح الشعرية ويرى بأننا لا يمكن بأي حال من الأحوال استعمال مصطلح واحد لمعنيين مختلفين ذلك أن الشعرية المصطلح "المصطنع في اللغة النقدية العربية المعاصرة لما يقابل اللغة الفرنسية La Poéticité؛ فتكون بمعنى الهيئة الفنية، أو الحالة الجمالية التي تمثل في نسج النص لتجعله مشتملا على خصائص فنية، تميزه عن النص النثري"²²

أما الشعريات فتتفرع -حسب مرتاض- إلى حقليين من حيث وظيفتها المعرفية فتأتي أولا بمعنى دراسة جنس الشعر من حيث الدلالة على الانتماء إليه، كان الشعر هو موضوع الشعريات وحده منذ أرسطو وهذا بحكم اشتقاق كلمة الشعريات من كلمة الشعر نفسها، وتأتي الشعريات بمعنى النظرية العامة للأعمال الأدبية، ثانيا ومنذ القرن التاسع عشر فتعمم دلالتها على كل الأجناس الأدبية، فتتسلط عليها بالممارسة الإجرائية²³

والشعرية في زمن أرسطو سعت إلى إنتاج قوانين لتأمل الفن/ الأدب ومحاولة معرفة طرائق كتابة الملحمة. وهي من المنظور الغربي مختزلة في قول تودوروف ما يهتم بعلم "قوانين وإنتاج وتفسير الخطابات وشروط انبثاق المعنى مهما تعددت مظهراته وتغيرت"²⁴.

غير أن المعنى المشكل لقول تودوروف لم يشابه المعنى الذي أخذه النقاد العرب، نظرا لطغيان الحديث عن الشعر على كثير من مؤلفات القدماء من العرب، فقال حازم القرطاجني بالتخييل للدلالة على الصناعة الشعرية وفرق بينه وبين الخطابة بوصفها فنا نثريا، ويتبين أن القرطاجني قد احتكم إلى المعيار البلاغي الذي احتكم إليه كثيرون في تشكيل قوانين الأدب (شعره ونثره).

حيث بدأت إرهاصات الشعرية الغربية مع الشكلايين وحلقة براغ، فأطلق جاكبسون مصطلحه "الأدبية"، وقال تودوروف علم نظرية الأدب الذي أشار إليه رينيه وليك René Wellek وواستن وارن Austin Warren قبل ذلك، ويستعمل هنري ميشونيك Henri Meschonnic معنى صفة الشاعرية، واعتبرها جون كوهن مقوّمًا جماليا

يخص الشعر، ورفض بول ريكور Paul Ricoeur وأمبرتو إيكو Umberto Eco تبعية الشعرية لعلوم اللسان..

ويمكن القول إنَّ كتاب قضايا الشعرية حاول فيه صاحبه جمع أكبر قدر من المعارف والآراء النقدية العربية منها والغربية، للإمام بما توصل إليه الفكر النقدي قديمه وجديده في هذا المجال، غير أن الشعرية مازالت تتسع وتضيف لمجالها بعد ما رصده عنها هذا الناقد الموسوعي.

اعتمد عبد الملك مرتاض في بحثه عن الشعرية عدة استراتيجيات نذكرها على النحو الآتي:

أولا استراتيجية الإحياء:

من أكثر ما اعتمد عليه الناقد في مشروعة النقدي ويعني "مجاهمة الحاضر بالجوء إلى الماضي، للتعبير بالحدود الاصطلاحية التراثية عن المفاهيم الحديثة، من باب أفضلية العودة إلى التراث لاستكناه مصطلحاته والاستفادة منها في التعبير عن أغراضنا المستجدة"²⁵، واستحسن مرتاض هذه الاستراتيجية التي أوجدت الكثير من المصطلحات النقدية التراثية مثل أدبية الشعر، والماء الشعري.

ثانيا التعريب:

اعتبره يوسف وغليسي "أسهل الوسائل وأسرعها إيتاء للأكل المعرفي، إنه الوسيلة الفريدة حين تعزّ الوسائل وتضيق السُّبل ويتعذر نقل المعرفة من لغة إلى لغة أخرى"²⁶ ويضيف "ويمثل التعريب مرحلة التقبل والتجريب؛ لأن الأكثر تواترا مع المصطلحات العلمية والفنية في شتى الحقول المعرفية أن يمثل الدخيل-عُربَ قلبه أم لم يُعرب- مرحلة أولى من مراحل التعامل بين المفهوم الطارئ والقاموس القائم"²⁷، وبدا هذا جليا في استخدامه مصطلح البويتيك تعريبا للمصطلح الفرنسي poétique.

ثالثا الترجمة:

والترجمة هي "نقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية بمعناه لا بلفظه، فيتخير المترجم من الألفاظ العربية ما يقابل معنى المصطلح الأجنبي"²⁸، ويعتبرها يوسف وغليسي شكلا من أشكال الاشتقاق.

رابعاً الاشتقاق:

ويقصد به "أخذ صيغة من أخرى مع اتفاقهما معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليبدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة"²⁹، واستخدمه مرتاض في هذا الصدد في مصطلح الشعارية.

وعليه فقد شكلت الآليات الإحياء، والترجمة، والتعريب، والاشتقاق أرضية مرتاض للاشتغال في تأصيل مصطلح الشعرية ونقله إلى الساحة العربية موازاة بما له من ملامح في الثقافة العربية.

ويدعو مرتاض في كثير من المواقف إلى ضرورة الرجوع إلى التراث الذي مازال يحمل الكثير من الأفكار والقيم، فيرجع القضايا المستعصية الاستقرار إلى النظر في "أمر ماضيه وننبش في النظريات التي قد تكون واكبته لنحاول تطويرها وتحديثها بناء على ما جد في سوق العصر من جديد وببعض ذلك يمكن أن نربط جيل الحاضر بالماضي"³⁰، لكن الأمر ليس باليسير فالناقد من أكثر النقاد حرصاً على تجذير المصطلح وضبطه ومراجعته، مؤمناً بعمق الإشكالية وضرورة إحاطتها بالأدوات اللازمة التي لا بد لها من الصرامة والدقة العلمية التي كانت ديدنه، لأن الفشل في تأصيل المصطلح أو ترجمته أو تعريبه يؤدي لزاماً إلى الفشل في مواجهة الخطاب الأدبي وهي معضلة أخرى.

وقد واجه مرتاض إشكالية السبك والضبط المصطلحي بالأفق المعرفي المنفتح والوعي المنهجي الذي واجه به إشكالية قراءة النصوص، حيث اتخذ منهجية المقاربة نفسها التي طرح التساؤل عن قابلية المصطلح للاندماج في الحقل المعرفي العربي وإمكانية انتشاره في حقول معرفية أخرى³¹

ولم تتوقف شجرة الشعرية في مدّ جذورها في كل اتجاه، ولم تتوقف عند الاهتمام بالمتخيل الأدبي بل تمددت إلى أبعد من هذا لتدرس أعمالاً لا يشترط أن تتلون بملونات الجمالي كالسيرة الذاتية واليوميات الخاصة، وقصص الخيال العلمي، والخطاب التاريخي الذي ظهر في دراسات جيرار جينيت Gérard Genette؛ الذي ناقش فيها جدلية المتخيل والتاريخ، وقد أقرّ بأن الشعرية مهياة أكثر من أي اتجاه للالتقاء بالتاريخ أثناء مسيرته.

4. خاتمة:

- من خلال هذه الدراسة البحثية في عالم مرتاض النقدي بحثا وتنقيبا عن الشعرية أو الشعرية كما يشاء هو أن يسميها فإننا نخلص إلى رصد جملة من النتائج نذكر منها:
- 1- لا يقتصر تفتح عبد الملك مرتاض على الثقافات الغربية بتوظيف مصطلحاتها فحسب بل يتجاوز ذلك إلى المعالجة المنهجية والتحليل العلمي الدقيق، فهو بذلك ناقد متجاوز أكثر منه متبع.
 - 2- اتخذ مرتاض الخلفية التراثية العربية الأصيلة مقارنة بنظيرتها الغربية أرضية لتأسيس مشروعه النقدي الذي يروم التجديد والإبداع والتفرد.
 - 3- إن المسار الذي اتخذه مرتاض في سبيل التأصيل لمصطلح الشعرية مسار صعب تلاق فيه التراث العربي بالحدائث الغربية، نَشَدَ فيه الاقتراب ما استطاع لتحقيق المصطلح وتطويعه وفك اللبس عنه.
 - 4- وظف مرتاض استراتيجيات وآليات مختلفة في اصطناعه مصطلحات حقل الشعرية منها: الاشتقاق، والتعريب، والترجمة، والإحياء وبدوره أضاف تقنيات مستقاة من الغرب في استخداماتهم للسوابق واللواحق *préfixes et suffixes* في تشكيل بعض المصطلحات مراعيًا قواعد اللغة العربية وخصوصياتها.

مراجع البحث وإحالاته:

- ¹عبد الملك مرتاض، قضايا الشعرية متابعة وتحليل لأهم قضايا الشعر المعاصرة، منشورات دار القدس العربي، وهران الجزائر، ط1، 2009، ص66.65
- ²يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض، بحث في المنهج وإشكالياته، إصدارات رابطة إبداع الثقافية دط، دت، ص08.
- ³عبد الملك مرتاض قضايا الشعرية، ص24.
- ⁴الجاحظ، كتاب الحيوان، تحقيق عبد السلام هارون، دار الكتاب العربي، بيروت، 1969. نقلا عن قضايا الشعرية، ص25.
- ⁵عبد الملك مرتاض، قضايا الشعرية، ص37.
- ⁶المرجع نفسه، ص46.
- ⁷المرجع نفسه، ص73.
- ⁸المرجع نفسه ص76.

الشعرية في الدراسات النقدية المغاربية بين الواقع الغربي والقراءة العربية - محمد الملك مرتاض
أموذجاً - العدد الرابع عشر / العدد الأول / مارس 2025

- ⁹ عبد الملك مرتاض، نظرية النص الأدبي، دارهومة، الجزائر، ط2، 2010، ص93.
- ¹⁰ ينظر، عبد الملك مرتاض، قضايا الشعرية، ص86.87.
- ¹¹ المرجع نفسه، ص93.
- ¹² عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريرية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4، 1998، ص79.
- ¹³ رومان جاكبسون، قضايا الشعرية، تر: محمد الوالي ومبارك حنون، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1988، ص57.
- ¹⁴ M.Riffaterre l'illusion référentielle in littérature et réalité p91 Editions du Seuil Paris 1982
- نقلا عن عبد الملك مرتاض، قضايا الشعرية، ص95.
- ¹⁵ تازافيتان تودوروف، الشعرية، تر: شكري المبخوث رجاء سلامة، دار توبقال، المغرب، ط2، 1990، ص23.
- ¹⁶ يوسف وغليسي، الخطاب النقدي عند عبد الملك مرتاض بحث في المنهج وإشكالياته، ص7.
- ¹⁷ المرجع نفسه، ص7.
- ¹⁸ عبد الملك مرتاض، أي، دار الغرب، ط2، 2004، ص17.
- ¹⁹ المرجع نفسه، ص146.
- ²⁰ عبد الملك مرتاض، أي، ص96.
- ²¹ عبد الملك مرتاض، قضايا الشعرية، ص19.
- ²² المرجع نفسه، ص19.
- ²³ ينظر، المرجع نفسه، ص17.18.
- ²⁴ ثرثفيتان تودوروف، مدخل إلى الأدب العجائبي، تر: الصديق بوعلام، دار الكلام، الرباط، ط1، 1993، ص11.
- ²⁵ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح، ص85.
- ²⁶ مولاي علي بوخاتم، مصطلحات النقد العربي السيماءوي (الإشكالية والأصول والامتدادات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، سوريا، دط، 2005، ص84.
- ²⁷ يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح، ص90.
- ²⁸ المرجع نفسه، ص90.
- ²⁹ يوسف وغليسي، المرجع نفسه، نقلا عن علي القاسمي، مقدمة في علم المصطلح، ص101.
- ³⁰ عبد الملك مرتاض، دراسة تفكيكية لقصيدة أين ليلالي لمحمد العيد، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، دط، دت، ص10.
- ³¹ ينظر، قادة عقاق، هاجس التأصيل النقدي لدى عبد الملك مرتاض بين وعي التراث وطموح الحداثة، مجلة الآداب والعلوم الإنسانية، العدد02، ص71.